الزولو سوشي وآمال أخرى

العولمة لم تقدم إلا القليل لإفريقيا

كومي نايدو

بصفتي إفريقياً، لا يسعني مناهضة العولمة؛ فقد جاءت لنا بالسوشي. وقامت جنوب إفريقيا بمزج هذا الصنف الشهي مع أكلتها المفضلة من شرائح اللحم النيئ — فأصبح لدينا صنفاً جديدا نسميه بفخر «زولو سوشي». والعولمة، نظرياً، هي رؤيتنا لإفريقيا، أي الاندماج الاقتصادي والتقني وحتى المطبخي، الذي يصلح للتطبيق عالميا. ويمكن أن تعني من هذا المنظور المشاركة في المسؤولية عن رفاهية البشرية كلها.

ولكن هذه ليست العولمة التي نشهدها في إفريقيا، والتي تثري القلة على حساب الأغلبية. ففي إفريقيا اليوم، العولمة هي قصة من المصالح الأجنبية التي تعمل على تقويض السيطرة المحلية.

كومي نايدو المدير المسؤول عن إطلاق حركة الصعود الإفريقي والرئيس السابق لمنظمة السلام الأخضر، والرئيس التنفيذي السابق «للتحالف العالمي لمشاركة مواطني العالم» (*CIVICUS*).

قواعد جائرة

في البداية، عقدت الأمم الإفريقية الوليدة الآمال على جولة أوروغواي للمباحثات التجارية متعددة الأطراف لكي تتمكن من دخول أسواق العالم المتقدم. ولكن النخبة الاقتصادية أيدت القواعد التي منحت معاملة تفضيلية للاقتصادات المتقدمة — وضغطت على الاقتصادات الإفريقية وغيرها من الاقتصادات النامية لكي تنصاع لها (دراسة Kumar, 2002). وترسخت هيمنة أكثر البلدان ثراءً من خلال ما ساندته من معاهدات ثنائية للاستثمار واتفاقيات للتجارة الحرة، مما أنشأ بيئة تفاوضية غير متكافئة.

القواعد ليست في صالحنا؛ ولم تكن في صالحنا قط.

وحتى الآن، بعد مرور ثلاثين عاما، لم يدعم أعضاء منظمة التجارة العالمية النمو الاحتوائي والمستدام. وكان فشل جولة مفاوضات الدوحة في العام الماضي تجسيدا للاختلال بين الاقتصادات المتقدمة والنامية (دراسة Keating, 2015). فالسياسات التي تحمي البلدان الصناعية، التي ينتمي إليها معظم واضعي القواعد، سمحت لها بأن تنمو لتصبح عمالقة كما نشاهدها اليوم. ولكن هذه الاقتصادات تحتاج إلى تغذية مستمرة، وهي الآن — مع اقتصادات الأسواق الصاعدة، بما فيها الصين — تسعى وراء الموارد والأسواق الإفريقية.

وكان الطلب على موارد إفريقيا دافعا للنمو الاقتصادي في القارة، حيث تجاوز متوسطه ٥٪ سنويا على مدار العقد الماضي. ولكنه كان سببا أيضا في خروج التدفقات المالية غير المشروعة بواسطة الحكومات الأجنبية والشركات متعددة الجنسيات — ٨٥٠ مليار دولار بين عامي ١٩٧٠ و ٢٠٠٨ (دراسة UNECA, 2015).

ومع السياسات التي حققت هذا النمو الجدير بالترحيب، ترسخت جذور الفقر وعدم المساواة. فخلال العقد الماضي من تحرير التجارة وارتفاع الناتج الكلي، حدثت زيادة في عدم المساواة داخل البلدان (دراسة Ortiz and Cummins, 2011). ذلك أن تنافس العمالة على الوظائف في السوق العالمية تسفر عن تخفيض الأجور، والمنافسة بين البلدان يمكن أن تفضي إلى تخفيض النفقات الاجتماعية والحد من التصاعدية الضريبية.

ورغم تحسن الأرقام الرسمية للفقر العالمي في الخمسين عاما الماضية، نجد أن ٤٨,٥٪ من الأفارقة يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولارا يوميا. نصف قارة، نصف مليار إفريقي، يعيشون في فقر مدقع، ويعيش الثلثان على أقل من ٤ دولارات يوميا، كما يعد ٩٠٪ في مستويات أقل من الطبقة المتوسطة — وهم من يعيشون على ١٠ إلى ٢٠ دولارا يوميا.

ولا تقتصر القصة الكاملة على ما ينبئ به الدخل. فالأفارقة لا يعيشون على أقل القليل إلا لأن ثلثيهم على الأقل يعتمدون على الزراعة فقط، منقطعين عن أي سبل يمكن أن تجعل حياتهم أفضل. والذئب واقف على الباب. فعلى مستوى العالم، بات الأجانب يحوزون على أكثر من ١١٥ مليون هكتار من الأرض الزراعية التي يقع معظمها في إفريقيا (دراسة Kachika, 2011). وأدى الاستحواذ على هذه الأراضي إلى تشريد الملايين من الأفارقة أو تحويلهم إلى عبيد في أراضيهم، كما أنه يهدد الفئات الأفقر في أرزاقهم وأمنهم الغذائي.

مليارات من الخاسرين

وهكذا نجد أن العولمة عندنا قصة أبطالها القليل جدا من الفائزين ومليارات من الخاسرين؛ قصة شراكة غير متكافئة، ومساواة منعدمة، وتنمية مكبوحة؛ قصة متواصلة من الاستغلال والإقصاء. فالقواعد ليست في صالحنا؛ ولم تكن في صالحنا قط. ولكن الحكومات الإفريقية لا تجرؤ على التشكيك في النظام القائم خشية المخاطرة بالأوضاع المالية المواتية في اقتصاداتها.

ومن ثم يتحتم على الأفارقة النهوض لاسترداد ممتلكاتنا — طالبوا بأن تكون حكوماتنا موضع المساءلة أمامنا أولاً، افضحوا الفساد، واستأصلوا الفقر، وتصدوا لعدم المساواة، واعملوا في نفس الوقت على محاربة تغير المناخ وإعطاء قارتنا الجميلة المعطاءة السمحة قدر ما تستحق من الاحترام. ■

المراجع:

Kachika, Tinyade, 2011, Land Grabbing in Africa: A Review of the Impacts and Possible Policy Responses *(London: Oxfam International).*

Keating, William E., 2015, "The Doha Round and Globalization: A Failure of World Economic Development?" (New York: CUNY Academic Works).

Kumar, Pranav, 2002, "Impact of the Uruguay Round on the Multilateral Trading System," in The Reality of Trade: The WTO and Developing Countries *(Ottawa: North South Institute).*

Ortiz, Isabel, and Matthew Cummins, 2011, Global Inequality: Beyond the Bottom Billion—A Rapid Review of Income Distribution in 141 Countries *(New York: UNICEF).*

United Nations Economic Commission for Africa (UNECA), 2015, "Illicit Financial Flows: Report of the High level Panel on Illicit Financial Outflows from Africa" (Addis Ababa).